

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الثانية

البيان العلمي للعقيدة الإسلامية

أيها الإخوة! كنا نتكلم في آخر محاضراتنا السابقة عن دليل العلة الغائية على وجود الله عز وجل وهو الدليل الذي بسطه البيان الإلهي في القرآن الكريم وكنا قد عرفنا العلة الغائية أولاً، ولا داعي فيم أحسب لإعادة التعريف، ولفتنا النظر إلى أن الناس كانوا ولا يزالون يتعاملون مع هذه الظاهرة كدليل على خلفيات حضارية، وكدليل على أحداث تاريخية فما زال العلماء ينسجون معارفهم التاريخية من ظواهر العلة الغائية الكامنة على ظاهر الأرض، وفي كثير من الآثار والعمران ونحو ذلك ثم أخذنا نستعرض الظاهرة الكونية وما فيها من العلة الغائية التي لا بد أن تهدي الناظر إلى وجود قصد من وراء هذه الظواهر وضربنا طائفة من الأمثلة، وسنمضي في ضرب المزيد من الأمثلة الحية على هذه الظاهرة، تكلمنا على الغلاف الجوي الذي بقي الإنسان من آفات الفضاء فلو أن هذا الغلاف الجوي لم يكن موجوداً لأحرقت النيازك والشهب هذا الكوكب الأرضي، ولتمطرت على الإنسان، وما استطاع أن يعيش فوق هذه الأرض.

من دلائل العلة الغائية في كيان الإنسان ذاته الإنسان بحد ذاته أنه ينظر إلى ذاته فيرى أنه عبارة عن جهاز هو في غاية التعقيد وفي غاية الاتجاه إلى تحقيق غايات عجيبة فلو أن الإنسان أتيح له أن يتصور جهازاً معقداً يهدف إلى تحقيق فوائد جمّة دون أن يتصور أن لهذا الجهاز صانعاً فله أن يتصور أن هذا الإنسان ليس له صانع، تنظر إلى الجملة العصبية في كيان الإنسان تنظر إلى الدماغ إلى المخ والمخيخ الذي من ورائه ووظيفة كلٍ تنظر إلى اللسان ووظيفة كل جانب من جوانبه في نقل الطعوم إلى الدماغ فمقدمة اللسان موظف بنقل نوع من الطعوم وجانبه الأيمن موظف بطعم آخر والأيسر بنقل طعم آخر ولا يمكن أن تتداخل الوظائف أبداً وتحت كل نتوءة من هذه النتوءات التي قد يمكن أن نراها في المرآة عندما ننظر إلى ألسنتنا تحت كل نتوءة عصب دقيق وشريان دقيق جداً يصل للمخ لكي ينقل للإنسان هذه المشاعر ثم إن عملية أكل الطعام عملية المضغ عملية ازدراد اللقمة عملية

الهضم عملية امتصاص الكبد للدم عملية إفراز السموم التي ينبغي أن تُخْرَج كل هذا يتم ضمن هدف وضمن قصد كل هذا ما نسميه ظاهرة العلة الغائية.

هل فكر أحد منا أيها الإخوة وهو يضع قطعة لحم في فمه يمضغها هل فكر كيف أن مضغ اللحم هذه مختلطة مع لسانه ومع ذلك فإن قطعة اللحم تطحن طحناً تحت رحي الأضراس في حين أن اللسان يبقى في نجوة من ذلك كله ونحن لم نتعلم طريقة من طرق هذه الوقاية بل لا نعلم كيف نقي ألسنتنا ولو ألدنا فكر أن يحفظ لسانه من أضراره ربما لقضم لسانه مرة من المرات هذه ظاهرة العلة الغائية التي تدل على وجود صانع عندما تحمل المرأة ولا عهد لها بلبن في ثديها ولكنها ما إن تضع مولودها حتى يتفجر الثدي باللبن الدقيق في صنعه المناسب أدق التناسب لهذا الطفل الوافد الصغير والعلماء يعرفون ويعلمون أكثر مما نعلم كيف أن القيمة الغذائية في هذا اللبن السكريات والنشويات يكون في الأسبوعين الأولين في غاية البساطة فإذا مضى أسبوعان ودخل الثالث زادت القيمة الغذائية هذه في لبن الأم وإذا دخل الشهر الثاني زادت القيم الغذائية كلما نما الطفل وأمكن أن يستقبل غذاء أكثر تعقيداً كلما أعطى الثدي لبناً مناسباً لحاجة الطفل هذه حتى إذا وصل عمر الطفل إلى سنتين وقف اللبن عند حد معين وذلك هو ميقات الفطم، وهو المعنى الذي لفت إليه بيان الله عز وجل إذ قال **(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلِينَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ) أَلَا** نجد ظاهرة العلة الغائية أي ظاهرة القصد في هذا؟ والقصيد لا بد فيه من قاصد القصد لا يعيش في شيء ميت لا يعيش في طبيعة ميتة عندما نجد أن علماء الأطباء التجار الذين حاولوا أن يخترعوا لبناً يساوي لبن الأم اللبن الإلهي، وعندما نستعرض محاولاتهم الكثيرة ونجد بعد ذلك إجماعاً من هؤلاء المحاولين كلهم على أن اللبن الذي يُعد ناجعاً وناجحاً ومفيداً للطفل دون ضرر هو لبن أمه، ومهما حاول العلماء أن يصنعوا وبأي الأجهزة المعقدة استعانوا لن يستطيعوا أن يأتوا بديل عن هذا اللبن بحيث يرقى إلى مستواه عندما أسمع هذا الكلام أيها الإخوة يا عجباً للملحد كيف يأخذ لبن النستله ويقول إن هذا اللبن من صنع مصنع كذا لأنه معبأ ومهيأ بطريقة تناسب الطفل مع أننا نعلم أن لبن الأم أكثر تناسباً ثم لا يتحدث عن لبن الأم فيقول: إن هذا الذي صنع هذا اللبن بما يتناسب وحاجته له صانع وهو الإله الحي القيوم لماذا تنسب اللبن الصناعي إلى مصنعه ولا تنسب اللبن الذي هو أدق من ذلك إلى صانعه إلى الله عز وجل ها هنا ظاهرة علة غائية وها هنا ظاهرة علة غائية القرآن جاء بأدلة كثيرة على وجود الله لكنه يركز كثيراً على هذا لأن هذا الدليل لا يحتاج إلى كثير من

الثقافة الإنسان بطبيعة الحال مندفع إلى أن يرى الأثر فيهديه الأثر إلى المؤثر ولذلك يقول الله عز وجل **(وفي أنفسكم أفلا تبصرون)** ويقول **(قل انظروا ماذا في السموات والأرض)** ويقول الله عز وجل **(أفأرأيتم ما تمنون أ أنتم تخلقونه)** أي هذه المادة المنوية التي تقذفونها في الأرحام صُنع صُنع دقيق فإما أن تكونوا أنتم الصانعين وإما أن يكون له صانع آخر وهنا يطرح السؤال **(أ أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أفأرأيتم ما ترحثون أ أنتم تزرعونها)** أي تجعلونه يتنامى على وجه الأرض **(أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلمت تفكهنون إنا لمغرمون بل نحن محرومون)** أي هذا النبات الذي يتعالى على سوقه ثم تخرج السنبله مزدانة بهذا النظام المتراكب الدقيق أنتم لو شئت لجعلته يتحطم تعمدون إلى هذه السنبله وإذا هي فارغة نعم ولكنني قصدت أن أمتعكم بهذا الغذاء **(أفأرأيتم الماء الذي تشربون أ أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجاً)** مرأً شديد المرارة أو ملحاً شديد الملوحة **(لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون أفأرأيتم النار التي تورون أ أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين).**

القرآن مليء من هذا الكلام الذي لو فكر الإنسان فيه بعقله لرأى الله ببصيرته وإن لم يره ببصره نعم انظروا إلى قول الله عز وجل **(وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون)** المياه الجوفية في الأرض خزانات من المياه لحاجة الإنسان مبنوثة بشكل هندسي كالعروق التي تسري في جنبات الأرض لحاجة الإنسان.

لا أريد أن أستعرض آيات القرآن فافروا القرآن أيها الإخوة والأخوات وتأملوا ظاهرة العلة الغائية التي تضعنا أما دليل ناصع واضح على أن هذا الكون صنعه مكنونه جل جلاله أذكر هنا لا بأس أن نذكر هذا المثال في سوريا في الستينات أقام أساتذة التربية الإسلامية عندنا معرض لأعمال التربية الإسلامية وحشد في هذا المعرض كثير من الكتب ومن وسائل الإيضاح ومن منجزات أساتذة التربية الإسلامية بين هذه المنجزات وسائل الإيضاح شيء طريف أحد الأساتذة كان مزدوج الاختصاص في الواقع صاغ نموذجاً صغيراً للكورة الأرضية وللشمس المجموعة الشمسية والقمر وأقام البعد المناسب فيما بينهما بشكل مصغر جداً ثم ربط هذا الجهاز كله بمولد كهربائي نعم بحيث إذن نعم وصل التيار الكهربائي إليه عبر هذا المولد تتحرك الأرض فعلاً كما نعلم حركة حول نفسها وحركة أخرى أيضاً حول الشمس وجعل الشمس كمصباح كهربائي يعكس شيئاً من الضياء على الكورة وهكذا تصور

هذه الحركة الليل والنهار وكيف تتقاسم الكرة الأرضية الليل والنهار الشيء الذي أريد أن ألفت النظر إليه أن الذين كانوا يأتون إلى هذا المعرض الزوار الذين كانوا يغشون هذا المعرض كانوا يتوقفون عند هذا الجهاز على اختلاف اتجاهاتهم كان يأتي إلى هذا المعرض رجال ملحدون فإذا وقف رأساً سأل من الذي صنع هذا الجهاز طبعاً يقال له فلان من أساتذة التربية الدينية الشيء.

الذي يلفت النظر هو مدى حمق هذا النوع من الناس عندما يرى صورة صغيرة جداً أخذت من الجهاز الأصلي الكبير الكبير لا يمكن أن يصدق إلا أن لهذا الجهاز صانعاً ولا يمكن أن يتصور أن هذا الجهاز انبثق هكذا مع أنه بسيط غير معقد غير معقد نهائياً يقول من لو أن قائلاً قال لا هذه الكرة هكذا وجدت هنا والمصباح الكهربائي هو الآخر على سبيل الصدفة تجاورا وتوثقا وهذا الواصل الكهربائي أيضاً على السبيل لاعتبره مجنوناً فيا للعجب من إنسان لا يرى الصانع عندما يرى الأصل ثم يسأل عن الصانع عندما يرى الفرع ويرى التقليد هذه الظاهرة هي التي تسمى العلة الغائية هل من اعتراض على هذا الدليل أيها السادة هل من اعتراض على هذا الدليل على وجود الله عز وجل؟ هنالك من اعترض فقال وأنا آتي بكلام المعترضين ولا بأس نحن رواد علم (بوكنز) رجل مادي ألف كتاباً اسمه _ المادية والمثالية _ يقول في كتابه هذا عن دليل العلة الغائية على وجود الله يقول نحن يمكن أن نرد على هذا الدليل فنقول إن الطبيعة ظلت تتطور وتتطور أحقاباً طويلة من الزمن وتنتقل من حال إلى حال حتى أخذت الشكل الذي نراه وأصبحت الطبيعة بعد مخض طويل طويل متناسقة مع حاجات الإنسان إذن الذي جعل الأرض متناسقة طول التطور مصادفة جعلت الكون يظهر بهذا المظهر المتناسق المتناسب. هكذا يقول ويضرب لنا مثلاً ليقرّب لنا الدعوة يقول: لو أننا عمدنا إلى صندوق مليء بأحرف طباعة متفككة متناثرة وبسطناها هكذا بشكل عشوائي على بساط أبيض يمكن أن نجد على سبيل الصدفة ثلاثة أحرف تقاربت وشكلت كلمة مثل كلمة (على) نقول نعم يمكن، يقول: وإذا عدنا الكرة ونثرنا هذه الأحرف مرة أخرى فيمكن أن تشكل لنا كلمة ثانية، نقول: فعلاً يقول الرجل وهكذا فإن هذه الأحرف الطباعية تظل تتشابك وتمتزج بشكل عشوائي وفي كل مرة لو لم يتشكل من هذه الأحرف إلا كلمة واحدة فمع القرون المتطاولة يمكن أن يتشكل من هذه الكلمات ما نسميه مثلاً _ إلياذة هوميروس _.

ألا ترون أيها السادة أن هذا الكلام فيه لعب بالعقول، لعب وكأن الذي يقول هذا الكلام يتصور أن الناس أطفال وأي أطفال أطفال في آخر سن الحضانة هكذا يتصور لأن (بوكنز) هذا ماذا

يفرض يفرض أن نثر هذه الأحرف بشكل عشوائي عندما كون لنا كلمة يفرض أننا حفظنا هذه الكلمة ووضعناها في مكان محبوء ثم عدنا فثرتنا هذه الأحرف ولما سعدنا بوجود كلمة أخرى أخذنا هذه الكلمة ووضعناها إلى جانب أحتها وحفظناها ثم فثرتنا وراقبنا حتى إذا رأينا الكلمة الثالثة وهكذا هكذا يفرض (بوكنز) إذن هو يفرض وجود من يأخذ الكلمات المجموعة بشكل عشوائي ويخبئها ويحافظ عليها ضد الرياح العشوائية إذن هنالك تدبير إذن هنالك علة غائية كلامه صحيح لو أننا تركنا هذه الأحرف الطباعية كلها والرياح تعبت بها ورأيناها قد أخرجت لنا كلمة (على) مثلاً ثم جاءت الرياح فلعبت بهذه الأحرف كلها قطعاً ستلعب بكلمة على كما تلعب بغيرها وسنجد كلمة أخرى وجدت ولكن هذه الكلمة الأخرى التي وجدت ستعود الرياح فثرتنا من جديد وسنجد مرة أخرى كلمة ولكن الرياح ستعود فثرتنا من جديد، وهكذا فحتى لو بقيت هذه الحروف ملايين القرون كلمات تتجدد والرياح تأتي مرة أخرى لتعيدها إلى اللا نظام ولذلك فكلامه هذا كلاماً غير طبيعي وكلام مردود عليه، هنالك اعتراض آخر جاء من (انجلنز) في كتابه الذي أشرنا إليه في المحاضرات السابقة _ أنتي دوهرنغ _ يقول ساحراً يقول: إذا كانت الأمور كلها هادفة في الكون ومن ثم فهي دليل على وجود الله، إذن فلنقل إن القبط خلقت لتلتهم الفئران والفئران خلقت لتلتهمها القبط والكل يسبح بحمد الله هذا ما يقوله (انجلنز) ساحراً من ظاهرة العلة الغائية فما هو جوابنا على هذا الكلام أو هذا الاعتراض العلمي الاعتراض الساحر نقبل ونحن رواد علم.

نقول في الجواب أولاً نحيل انجلنز وأمثاله لا أقول إلى العلماء المسلمين إلى ما كتبه أمثال _ غوستاف لوغون _ عن الظاهرة الطبيعية في الحيوانات في نشأة الحيوانات وتكاثرها على وجه الأرض والتوازن العجيب الذي أقامه الله سبحانه وتعالى بين الحيوانات لمصلحة الدوام الحياتي على وجه الأرض نحيله إليه لكن مع ذلك أنا أفرض شيئاً آخر أنا أفرض أننا لم نعلم لماذا خلقت الفئران وخلقت القبط ثم سلط هذا على ذلك أنا أفرض أنني لم أعلم الحكمة عدم معرفتي للحكمة أو للعلة الغائية من تسلط كل من القبط على الفئران عدم معرفتي لهذه الحكمة هل يعود بالنقص على ظاهرة العلة الغائية في حركة الأرض ودورانها هل يعود بشيء من النقص على ظاهرة العلة الغائية في حركة الأفلاك هل يعود بشيء من النقص على ظاهرة العلة الغائية في كيان الإنسان من فرقه إلى أخص قدمه هل يعود بشيء من النقص على ظاهرة العلة الغائية في تفاعل التربة مع النبات في تفاعل الرياح مع الغيوم مع الأمطار لا يمكن هذه المسألة المجهولة أن تعود بشيء من النقص على ظاهرة تسمى

علمياً ظاهرة العلة الغائية وإذا لم تعد بشيء من النقص عليه، إذن فالدليل قائم غاية ما هنالك يمكن أن يقول قائل أنا لا أعلم الحكمة لكن عدم معرفتي للحكمة ليس دليلاً على أن هذا الكون كله لا حكمة فيه.

وما أشبهه كلام الجملنز هذا برجل دخل بناء ضخماً فيلاً مثلاً فنظر ووجد كل شيء بني في هذه الفيلا بني على نسق دقيق وعلى أساس هادف ونظر فوجد أن هذه الفيلا أو هذا البناء قد ملئت بأساس مريح فاخر نظر إلى صالون الاستقبال فوجده كما ينبغي من أجل الضيوف اتساعاً وأثاثاً ونحو ذلك ثم دخل إلى قاعة الطعام فوجد كل شيء يتناسب مع حاجة الإنسان إلى الجلوس في هذا المكان للطعام دخل إلى غرف النوم فوجد كل شيء مهياً على أساس جلب الراحة التامة للإنسان الذي يريد أن يقيم هنا دخل إلى دورات المياه إلى المرافق فوجد كل شيء أقيم بحيث يحقق الراحة التامة للسكان وأثناء ذلك انخطفت عينه مثلاً إلى مسمار قد دق في منتصف جدار في غرفة من الغرف سأل نفسه هذا المسمار لماذا وضع هنا فكر لم يهتد لم يعلم قال ألا وإني قد عجزت عن معرفة الحكمة من وجود هذا المسمار هنا فقد أصبحت أن كل هذا البناء عشوائي وأنه لا يقوم على أي نسق وليس هنالك أحد بناه نسخ كل تلك الظواهر الدالة على وجود من بني هذا المكان طبق مخطط وطبق هدف أي طبق علة غائية لأن عقله لم يهتد إلى السر من وجود هذا المسمار في هذا المكان شأن الجملنز بالنسبة لإنكاره وجود الله في الكون، عندما لفت نظره وجود القطط والفئران كشأن هذا الإنسان الذي أنكر وجود أي تناسق في هذا البناء بسبب أن هذا المسمار لا يعرف لماذا وضع أنت جاهل وجهلك ليس دليلاً علمياً، كل ما يمكن أن نقول أنك قد جهلت لماذا وضع هذا المسمار ولا يمكن للجهل أن يكون في يوم من الأيام دليلاً علمياً على شيء وهكذا أنا لا أعلم أن هنالك أي اعتراض ورد على دليل العلة الغائية ظاهرة العلة الغائية في الكون على وجود الله إلا هذين الاعتراضين السخيفين.

وإذا عرفنا سخفهما فقد عدنا إلى الفرضية التي انطلقنا منها لقد فرضنا أن الله سبحانه وتعالى معدوم وانتهينا من رحلتنا العلمية في مناقشة هذه الفرضية إلى أن الأمر باطل بدليل بطلانه رجحان الشيء بدون مرجح بدليل بطلان التسلسل بدليل بطلان الدور بدليل وجود ظاهرة العلة الغائية المثبوتة في طوايا الكون وظواهر الطبيعة إذن أيها الإخوة ماذا نقرر عن الكون ونحن أصحاب عقول لا نريد أن ننطلق من خلفيات عصبية لا عصبية للدين ولا عصبية ضد الدين إنما ننطلق من الاستمساك

بميزان واحد هو ميزان العلم الذي هو الثمرة القدسية الأولى للعقل ولو كنا نملك ميزاناً أدق من هذا لتركنا العقل وأخذنا به لكن لحسن الحظ أو لسوء الحظ ليس لدينا في حياتنا اليوم ميزان نلجأ إليه للمعرفة غير ميزان العقل والعلم فإذا تمسكنا بميزان العقل والعلم وتحررنا من الأسبقيات وتحررنا من العصبيات هذا الميزان أيدلنا أيوصلنا إلى الإلحاد؟ أم إلى الإيمان بالله؟ لا بد أن يوصلنا إلى الإيمان بالله عز وجل ولا بد أن نعلم أن لهذا الكون مكون ولهذا الصانع صانع وأن الإنسان صنعة متميزة لهذا الخالق عز وجل والقرآن تكريس لهذه الأدلة ومحاوره للإنسان أن يتفاعل ويتعامل مع هذه البراهين إذن انتهينا بحمد الله إلى اليقين العلمي بوجود الله وأعيد إلى الذاكرة أنني قلت إن الإسلام وأعني بالدين هنا الإسلام ليس له خط مستقل عن الخط العلمي يناكبه عن يمين أو شمال لا وإنما الإسلام ثمرة العلم، وما أنتم رأيتم ذلك فقد بحثنا من منظور علمي في الكون في ظاهرة العلة الغائية في ظاهرة بطلان الرجحان بدون مرجح إلى آخره نحن هنا لم نتعامل مع الدين تعاملنا مع العلم خطوة إثر خطوة أسلمنا وأوصلنا إلى رحاب الإيمان بوجود صانع قال لنا العلم هذه الحقيقة أسلمكم إياها لا بد أن تتيقنوا بها هنا نجد أنفسنا أمام مفترق طرق بالنسبة لكثير من الناس كثير من إخواننا في الإنسانية يسيرون معنا إلى هذه النقطة أي يؤمنون بوجود الخالق يؤمنون بوجوده ويقولون لهذا الكون صانع ولكنهم عند هذه النقطة يقفون بينما نحن نواصل الطريق يقف أحدهم عند الإيمان بالله يقول خلص أنا آمنت بوجود الله ثم إنه يريح أعصابه ويغلق ملف الحديث عن الله وعن الدين ويسلم نفسه لما يشاء ولما تشاؤه غرائزه دون أن يسير خطوة أخرى هل نستطيع أن نفعل كما يفعل هؤلاء الناس فلا نواصل الطريق؟

الجواب لا كنت أتمنى لو أن إيماننا بالله يجعلنا نطمئن إلى أننا قد آمنا وهذا هو المطلوب فلنسند ظهورنا إلى الجدر ولنبرد أعصابنا ولا نقوم بأي عمل لا يمكن العقل هنا يوخزني وخزات متتالية لا أستطيع لماذا عندما آمنت بالله عز وجل وآمنت بأن هذا الكون كله من صنعته وأخذت أتأمل مصنوعات الكون من خلال منظار علمي سأجد أن كل شيء يعكف على مهمة فالشمس تؤدي وظيفة لا تبارحها ولا دقيقة الأرض تؤدي وظيفة ذرات الأرض من تراب تؤدي وظيفة النواة التي نضعها ونقذفها في باطن التربة تؤدي وظيفة دقيقة الحيوانات في الغاب تؤدي وظائفها ولا تخرج عن وظيفتها يمينا ولا يسرى كل شيء في الكون يؤدي وظيفة وهذا معنى قول الله عز وجل على لسان موسى بعد أن علمه هذه الحقيقة (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) أي أعطاه مظهره الذي

أبرزه فيه ثم هداه إلى وظيفته التي ينبغي أن يعكف عليها وهذا معنى قوله أيضاً **(وخلق كل شيء فقدره تقديراً) (الذي خلق فسوّى والذي قدر فهدى)** هذه حقيقة معروفة طيب والآن رأيت كل ما حولي من المكونات عاكف على وظيفته لا بد أن يسأل العقل صاحبه ترى هل أنا الكائن الوحيد الذي لا وظيفة لي هل أنا الحيوان الوحيد المدلل على الله الذي لم يكلف بشيء في حين أن كل ما حوله عاكف على مهمة يؤديها مع أنني أمتاز بالعقل ولا عقل لغيري مع أنني أمتاز بهذا السر الذي اسمه الروح وهو غير روح البهائم ولا يتمتع حيوان من الحيوانات بهذا السر هل يمكن للعاقل أن يتصور أن هذا الإله الحكيم العليم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هداه إلى وظيفته قال لي أنا الإنسان أما أنت يا أيها المخلوق المدلل فليست لك وظيفة أنت خلقت لتفعل ما تشاء ولتعبث كما تحب اقتل انهب اسلب تمتع اظلم انظلم كن ضعيفاً كن قوياً أنت وحظك ليست لك وظيفة وليست عليك من مهمة وإنما أنت كما قال الشاعر:

دع المكارم لا ترحل لبغيتهما واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي.

يمكن أيها الإخوة لعاقل أن يحكم بدلاً عن الله في حق نفسه بهذا الحكم وهو يعلم أن هذا حكم شاذ عن سائر المخلوقات الأخرى لا يمكن أن يتصور هذا أبداً يخيل لي أن هؤلاء الإخوة الذين آمنوا بالله الحكيم العليم الذي لا يعبت ثم أسلموا أنفسهم لرغائبهم وشهواتهم أشبه ما يكون الواحد منهم برجل مسافر جنته الليل في قمة جبل فأراد أن يختار مغارة يأوي إليها يرقد فيها إلى الصباح ووجد مغارة في طريقه فدخلها وأشعل مصباحه الكهربائي وقال سأنظر هل هذا المكان صالح للرقادة أم لا نظر فوجد حيواناً مقتولاً وقد أكل قسم منه وبقي قسم فكر قال لا بد أن هذه المغارة مثابة لسبع ضارٍ وأن هذا جحره وأن هذا الحيوان طعامه إذن هو عرف ثم إنه بعد ذلك بعد أن علم هذه الحقيقة أخذ غطاءه وبسطه في الأرض وتمدد إلى جانب ذلك الحيوان المقتول وأسلم عينيه للرقاد مطمئن البال هل يمكن لعاقل أن يجد هذه الطمأنينة ذلك اليقين بأن هذا الجحر مكان لسبع يجعله يتخوف من أن يطمئن فيجلس في هذا المكان أنا أشبه الذين آمنوا بوجود الله في الكون إله يعني لا يعبت يعني حكيم يعني يضع كل شيء في مكانه أشبه من يقول بعد ذلك ولكن نعم ليس هنالك بعد اليوم حياة والموت هو الغلاف الثاني لقصة الحياة ولي أن أفعل ما أشاء وأتصرف كما أريد هذا مثل ذاك إذن إيماننا بالله لا بد أن يجعلنا نواصل الرحلة آمنا بالله عز وجل الآن نطرح على أنفسنا السؤال التالي هذا الإله متصف بصفات الألوهية من صفات الألوهية العلم فهو لا يند شيئاً عن علمه القدرة

فقدرته تمتد إلى كل شيء الإرادة لا يوجد من يضغط عليه حكيم أي لا يعبث لا بد لكل شيء خلقه حكمة إذن ما الحكمة من وجودي ما مهمتي فوق هذا الكون عندما طرح هذا السؤال على أنفسنا لا بد أن نواصل الرحلة نواصل الرحلة بحثاً عن تنمة المهمة فماذا نجد؟ نجد صوت الوحي يجيبنا عن هذا السؤال صوت الوحي الإلهي الذي نُزِّل على الإنسان عن طريق الرسل والأنبياء الذين توالوا مع الزمن بدءاً من آدم إلى آخرهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هذا الوحي أجابنا عن هذا السؤال نعم عندما أقرأ كتاب الله عز وجل أجد الجواب أجد المهمة التي خلقت من أجلها أجد حديثاً عن قصة رحلتي من أين بدأت وإلى أي نهاية أسير وأجد حديثاً عن أحداث ما بعد الموت وحديثاً عن يوم القيامة وأحداث يوم القيامة كل ذلك أجده في وحي الله عز وجل وانقطعت عنا النبوات السابقة ولكنها تجمعت كلها في خاتم الرسل والأنبياء وهو محمد عليه الصلاة والسلام فما تقرأه في القرآن هو المعنى الذي قرأه من قبلنا في التوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وفي الصحف والكتب الأخرى انظروا إلى قول الله عز وجل وهو يجيبنا عن أسئلتنا هذه إذ نواصل رحلتنا **(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم)** إذن نحن لم نخلق عبثاً وانظروا إلى قول الله سبحانه وتعالى **(فإمّا يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي لا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى)** وانظروا إلى قوله عز وجل وهو يلفت نظرنا إلى هذه التعليمات **(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم بإذنه إلى صراط مستقيم)** نصغي فنسمع هذا الكلام إذن نصغي أكثر ما يقول لنا هذا النور هذا النور أنبأنا عن قصة الرحلة الإنسانية من أين انطلقت وإلى أي نهاية تسير هذا الوحي أنبأنا بعد ذلك عن كيف نتعامل مع الكون والإنسان والحياة أي وضعنا أمام قائمة أحكام هكذا فعلوا هذه الطرق ابتعدوا عنها هذه الأوامر طبقوها عرفنا أيها الإخوة والأخوات الجسر الواصل بين الإيمان بالله عز وجل وبين إصغاء الإنسان إلى الأوامر والتعليمات التي عسى أن تكون قد اتجهت إليه من هذا الإله عز وجل وهذا يسلمنا إلى ما نسميه بالنبوات هذا هو الذي يجعلنا نواصل الرحلة في حين أنه تخلف عنها كثير من الناس اقتنعوا بالإيمان بالله ولم يواصلوا أما نحن وقد عرفنا الكلام الذي قلته لا بد أن نصغي إلى التعليمات التي وفدت إلينا من عند الله عز وجل هذه التعليمات كيف وصلتنا وصلتنا وحيّاً بواسطة من يسمون بالرسل والأنبياء وهؤلاء الرسل والأنبياء أعدادهم كثيرة ولا يحصيهم إلا الله عز وجل

ولكن القرآن حدثنا عن خمسة وعشرين منهم فكن رأيتهم أن أسماء الخمس وعشرين هؤلاء كلهم تقريباً عاشوا في الشرق الأوسط فليس معنى ذلك أن النبوات كما يظن بعض الحمقى خاصة بالبلاد العربية هؤلاء نماذج من الأنبياء والرسل أما الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله فلا نعلم عددهم وقد قال الله عز وجل **(وإن من أمة إلا خلا فيها نذير)** وقال عنهم في مكان آخر **(منهم من قصصنا عليك ومنهم من لا نقصص)** ولكن ونحن نسير سيراً علمياً ونمسك بمصباح العلم لا بد أن نلتفت إلى مصباح العلم هذا ونقول له كيف أستطيع أن أعلم صدق النبي كيف أستطيع أن أعلم أن محمداً رسول فعلاً لماذا لا يكون هذا الإنسان مدجلاً علينا كيف أستطيع أن أضع ما يسميه وحياً في ميزان علمي ليثبت أنه فعلاً وحي هذا السؤال يفرضه الإنسان بل ينبغي أن يفرضه وينبغي أن نصغي إلى منطق واحد في الإجابة عنه ألا وهو منطق العلم ولا شيء غير العلم أنا أفرض أن محمداً عليه الصلاة والسلام كاذب كما فرضت أن الله غير موجود في المحاضرة السابقة أفرض وألجأ إلى قانون التلازم الذي قلت عنه لأن محمداً عليه الصلاة والسلام ليس أمامي الآن خبر غيبي ألجأ إلى قانون التلازم لأعلم مدى صحة هذه الفرضية أو بطلانها إذا انطلقت من أن محمداً صلى الله عليه وسلم كاذب إذن لا بد أن أقول إتماماً سماه رسول الله وحياً هو من عنده كلام نابع من فكره وليس آتياً من جهة خارجة من كيانه طبعاً عندما أنفي عنه صفة النبوة والرسالة لا بد أن أقول أن الوحي إذن في تحليله العلمي شعور داخلي فلننظر إلى قصة بدء الوحي أو ما يسميه بعض الكتاب الأجانب وثيقة بدء الوحي هذه الوثيقة هي التي جعلت كثيراً من المستشرقين يجللون ظاهرة الوحي ويؤلفون كتباً فيها ما هو الوحي وما تفسير هذه الظاهرة ماذا تقول هذه الوثيقة وثيقة بدء الوحي ما أنكرها أحد لأنها موجودة في كتب التاريخ وموجودة في كتب السيرة وموجودة في كتب السنة ونقلنا إيلنا نقلاً متواتراً ولذلك فالكفار والمؤمنون كلهم يؤمنون بهذه الوثيقة التاريخية وخلاصتها أن محمداً عليه الصلاة والسلام حبيب إليه قبيل البعثة أن يعتزل عن الناس في غار اسمه غار حراء وفجأة ذات يوم وجد كائناً يقف أمامه يقول له اقرأ قال ما أنا بقارئ فأخذه وضمه إليه ثم أرسله وقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ ضمه الثانية ثم ضمه الثالثة وأرسله وقال **(اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم)** ثم إن هذا الكائن انمحي وجوده أمامه ودخل الرعب والهلع قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل رأساً من الغار واتجه إلى داره وهو يرتعد وقد أخذته البرداء وقال لزوجته خديجة زملوني زملوني وفي هذه الوثيقة أيضاً أن خديجة رضي الله عنها

أخذته إلى ورقة بن نوفل وقد كان شيخاً كبيراً قد عمي وتَنَصَّرَ وقرأ الكثير من الكتب السماوية السابقة ولما أخبره محمد عليه الصلاة والسلام بما رآه قال له هذا هو الناموس الذي أنزل أي الوحي الذي أنزل على موسى وليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك قال أو مخرجي هم قال نعم ما جاء قوم بمثل ما جئت به إلا أودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا وفي هذه الوثيقة التاريخية أيضاً أن هذا الكائن انقطع عنه بعد ذلك فلم يعد يراه ثلاثة أشهر أربعة أشهر وقيل ثلاث سنوات تصور محمد عليه الصلاة والسلام عندما انقطع عنه هذا الوحي وقد سمع كلام ورقة هذا تصور أنه ربما ارتكب معصية جعل الباري يغضب عليه فانقطع عنه بسبب ذلك الوحي فكان الهم يطبق على صدره وكثيراً ما كان يفكر أن يلقي برأسه من أعالي الجبال ثم فجأة عاد فرأى هذا الكائن ولكن بمظهر آخر وقد ملاً شكله ما بين السماء والأرض يقول يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله إلى الناس عاود الرعب فدخل قلبه وعاودت القشعريرة والبرداء إليه وذهب إلى داره يقول لخديجة دفنوني دفنوني هذه خلاصة الوثيقة هذه الوثيقة أيها السادة الأجانب أمثال كريم وأمثال غوستاف لوبون وأمثال تومبي درسوها وتكلموا عنها وحللوها ونحن أيضاً نحللها هذه الوثيقة كيف نفسرها تعالوا نفسرها بأنها شعور داخلي لنقول إن محمداً عليه الصلاة والسلام ليس نبياً فعلاً إذن هو شعور داخلي هل يمكن أن نتصور أن الوحي شعور داخلي مع إيماننا بهذه الوثيقة التي بسببها نسبنا ظاهرة الوحي إلى رسول الله الوحي شعور داخلي والوثيقة تقول أن محمداً رأى كائناً يقف أمامه ولكي لا يتخيل محمد صلى الله عليه وسلم أنه وهم أو رؤيا ضمه إليه ثلاث مرات وأرسله يضمه ويرسله كأنه يقول أنت في اليقظة أنا أقول لك كلاماً حقيقياً كيف يمكن أن أتصور أن الوحي شعور داخلي وقد قالت لنا الوثيقة هذه التي صدقها المستشرقون قبل أن نصدقها نحن إنه نزل وقلبه يفيض رعباً وقد أخذت منه القشعريرة والبرداء الشعور الداخلي يجعل عند الإنسان هذا الخوف يعني أنا الآن كل منا يلهم كل منا يشعر بمعاني الشعراء يقال والله فلان ملهم فلان يأتيه الوحي يعني هل الإنسان عندما يتلقى إلهاماً داخلياً فكرة معينة أو تصور معين يصبح عرضة للرعب لا يمكن هذا أحد شيئين إما أنني أنكر الوثيقة فأقول لا يوجد هذا الخبر في التاريخ أصلاً وعندئذ أريح نفسي من نسبة الوحي إلى رسول الله وإما أن الوثيقة تاريخية ثابتة لا مجال لإنكارها إذن ينبغي أن أحللها تحليلاً تقبله هذه الوثيقة حتى لا أتناقض أنا أفرض أن أحدنا قد يقول طيب لماذا لا نفرض أن رسول الله ذهب يعني أوتي من القدرة الخارقة على المخارقة وعلى الدجل بحيث هو الذي اصطنع الرعب وهو الذي اصطنع البرداء لا في برداء في

الحقيقية ولا شيء من هذا القبيل لماذا لا نفرض ذلك الجواب لو أمكن أن نقول هذا بطريقة يقبلها العلم لقلنا ذلك ولكن دعك من محمد عليه الصلاة والسلام الذي عاش قبل قرابة خمسة عشرة قرناً وخذ كبار الممثلين الذين تنتجهم هوليد ونحوها هل يستطيع ممثل بارع فيهم أن يتحكم بالدورة الدموية في أعصابه فيجعل البرداء يسري في جسده عندما يشاء ويعيد شكله إلى وضعه الطبيعي عندما يشاء هل يمكن لممثل من الممثلين نعم أن يجعل نفسه مرتعداً خائفاً كما يجب ثم يعيد نفسه إلى وضعه الطبيعي كما يجب لا بد أن يستعين بمكياج فلو كان الرسول صلى الله عليه وسلم كان قادراً على أن يتحكم بالدورة الدموية في كيانه يجعل لونه مصفراً منتعماً أناً ويعيد نفسه إلى النضارة أناً آخر إذن نحن أمام حارقة لا تقبلها العقل بشكل من الأشكال نحن رواد علم إذا كانت هذه الفرضية مقبولة في العلم أنا أقبلها لكن أما وقد آمنا بالوثيقة فإن كل سطر من أسطر هذه الوثيقة ترفضها ثم هذه الوثيقة تقول إن محمداً عليه الصلاة والسلام بقي ثلاثة أشهر وقيل أكثر قرابة ثلاث سنوات متضيقاً يكاد أن ينتحر يظن أن الله قد قلاه طيب إذا كانت المسألة شعور داخلي لماذا يشعر بهذه المشاعر والله كان في إلهام ثم إن الإلهام انفصل عنه شاعر من الشعراء ألهم ذات مساء فأخرج قصيدة وبعد ذلك جمدت القرية ولم يعد يأتيه وحى ما الموجب أن يبحث عن إلهامه في شغاف الجبال وتقول هذه الوثيقة إن ورقة بن نوفل قال له هذا هو الوحي الذي نزل على موسى وكان الأقدار أدخلت شهادة ورقة بن نوفل في هذه الوثيقة وهو الرجل الكبير في السن الذي أربى على المئة والذي كان يقف على شفير قبره وهو أبعد ما يكون عن الكذب كأن الأقدار شاءت أن تنطق هذا الإنسان لتذهب شهادته مع الزمن وليكون ذلك رداً على من يتصور أن الوحي شعور داخلي إذن هذه الوثيقة ترفض هذا التصور أيها السادة شيء آخر يرفض هذا التصور لا نزال في فرضية أن الوحي شعور داخلي وبالتالي فإن محمداً لم يتلق شيئاً من عند الله عز وجل كما قال لو كان كذلك لكان رسول الله عندما ينطق بالحديث وعندما ينطق بالقرآن واحداً ولرأينا أن القرآن والحديث يخرجان من مشكاة واحدة أي أسلوبهما واحد فهل الأمر كذلك نقرأ حديث رسول الله فنجد مصبوغاً بالصبغة البشرية تماماً كل سطر من كلام رسول الله ينبض بالطبيعة الإنسانية نقرأ القرآن فنجد مبرءاً من الصبغة البشرية ومن الطبيعة الإنسانية هل في إنسان يعلم اللغة العربية يقارن بين القرآن والحديث إلا ويجد فرقاً كبيراً بين الأسلوبين قد يقول قائل ولماذا نستبعد أن يكون محمد عليه الصلاة والسلام من العبقرية بحيث يجلس أناً فيتكلم باسم الله فيقصي بشريته عن كلامه لأنه الآن يتكلم باسم الله

ويتكلم أنا باسمه هو فيمارس الكلام من خلال بشريته وما هذه عبقرية نقول في الجواب هذا مما لا يمكن أن يقبله العلم قط والسبب في ذلك سأذكره وإن كان الحديث يطول ومع ذلك إن أدركنا الوقت وقفنا عندما يدركنا ونتابع بعد ذلك عندنا قاعدة تقول الكلام بل هي ليست قاعدة كلام العوام من الناس وهي قاعدة علمية الكلام صفة المتكلم يقول علماء النفس إن أردت أن تستشف نفسية إنسان فإن خير مرآة لنفسيته كلامه أصغى إليه أكبر قدر ممكن من الوقت فإنك تستطيع أن تجمع من خلال كلامه طبيعته هذه حقيقة علمية درسناها في علم النفس ويدرسها الناس ومن ثم فإن الإنسان لا يستطيع أن يقلد أسلوب إنسان آخر لأن الأسلوب ليس رصف كلمات الأسلوب انعكاس طبع فمثلاً مثلاً عباس محمود العقاد كاتب طبيعته الجد والعمق في البحث له هذه الطبيعة انعكست طبيعته على أسلوبه إبراهيم عبد القادر المازني كاتب عاصره أسلوبه مرح وحب الفكاهة ولا يمكن أن تنفصل الفكاهة عن كلامه الآن نفرض السؤال التالي هل يمكن لإبراهيم عبد القادر المازني أن يجلس ذات يوم فيقلد أسلوب العقاد وينجح في ذلك؟ لا يمكن أبداً مهما حاول لأن الأسلوب طبع وطبع إبراهيم عبد القادر المازني المرح إلى جانب خصائص أخرى يغلق هذا الطبع عليه الطريق لو أن العقاد على عبقريته ورغم أنه كاتب عظيم هل يستطيع إذا شاء أن يقلد أسلوب إبراهيم عبد القادر المازني لا يستطيع هل يستطيع كاتب مثل أو أي إنسان آخر أن يضع الجاحظ أمامه ويقول أنا أريد أن أقلد أسلوب الجاحظ مهما درس الجاحظ ومهما حاول لا يستطيع أن يقلد أسلوب الجاحظ لأن الجاحظ أخذ أسلوبه من الطبع الذي نُشئ عليه في بيئته وأنا أخذت طبعي من البيئة التي نُشئت عليها فإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يقلد أسلوب أخيه الإنسان أفستطيع الإنسان أن يخلع رداء بشريته ويقلد كلام الخالق لا المخلوق والصانع لا المصنوع لا يمكن وهذا الكلام له تفصيل ولنقف عند هذا الإجمال ولكن احفظوا هذا الإجمال حتى نبي عليه التفصيل الآتي بحمد الله عز وجل وتوفيقه أقول قولي هذا وأسأل الله لي ولكم القبول والحمد لله رب العالمين.